

خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود



جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل

1. استعدّوا لعالَم أفضل

14 شعبان 1379هـ الموافق لـ 12 فيفري 1960م

الـحمد لله يعين من استعان به، ويؤيّد من استمسك بدينه، وأشهد أن لا إله إلّا الله، بيده ملكوت كلّ شيء، وهو على كلّ شيء قدير، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، الّذي ناضل في سبيل الحقّ حتّى كان له النّصر على خصمه ومناوئيه، وقد نشر دين الله بين عباده حتّى عمّ نوره وإشراقه هذه البسيطة، والصّلاة والسّلام على آله وأصحابه الّذين كانوا منار هذا الدّين، وعنوان القوّة والعظمة في عالم الـمسلمين.

أمّا بعد: فإنّكم لا شكّ قادمون على عالم أفضل غير العالم الّذي كنتم تعيشون فيه، وأظنّ بأنّه لا يرتاب أحد منكم في حقيقة ذلك الـمستقبل الزّاهر، والـمدنيّة الّتي ستشاركون فيها بقسم وافر مع أمم العالَـم.

ولكن انظروا ماذا قدّمتم من جهود ومن استعدادات لهذه الحياة الجديدة؟ هل أزلتم ما علق بقلوبكم من أدران الـحياة القديمة الّتي تـجرّعتم فيها كأس الـمرارة وعشتم في أعماق ظلماتها وذقتم جميع آلامها؟ هل يرضى واحد منكم أن يرجع إلى الوراء أو يعيش في تلك الظّلمة الكالحة؟

لا أظنّ أنّ ذلك يخطر على بال أحد، وإنّما يتمنّى كلّ فرد منكم أن تتحقّق له حياة العزّ والكرامة، وأن يعيش في ذلك النّور الّذي عاش فيه أسلافكم الأوّلون.

ولكن فلننظر: هل انتقلوا من العصر الجاهليّ إلى عصر النّور الـمحمّديّ دفعة واحدة دون أن يقدّموا ضريبة كبيرة في مجاهدة نفوسهم وتطهير قلوبهم من فساد الـماضي وأدران الـمستقبل؟

لا شكّ أنّكم تعرفون تلك التّصفية وذلك التّهذيب الّذي مرّنوا عليه نفوسهم مدّة من الزّمن حتّى أمكن لهم بعد ذلك أن يتلقّوا هدي القرآن ونوره وعلومه ومعارفه الّتي تلقّوها من الرّسول الأعظم –صلّى الله عليه وآله وسلّم– على اختلاف طبقاتهم من شيوخ وكهول وصبيان، فكانت لهم غذاءً صالحا لقلوبهم، ونورا مشرقًا يهتدون به في حياتهم.

فهكذا أراد رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أن ينقذ البشريّة من الاستعباد والفقر والجهل والذلّ والهوان، إلى نور العلم والـمدنيّة والعرفان، فقد بنى ذلك الـمجد العظيم لأصحابه وأمّنه على أسس متينه من القوّة والعظمة، حتّى كانوا مثلا أعلى في حياتهم لسائر الأمم، وكانوا شموسًا منيرة أضاءوا العالم بنورهم وهدايتهم، وكانوا عنوان الأخلاق والتّربية والقدوة الحسنة لشعوب الدّنيا كلِّها. فهل استعدّ كلّ فرد منّا مثل استعدادهم وأحبّ أن يسلك طريق الجدّ والعظمة والعزّة مِثْلَهم؟

إنّ ذلك لا يكون إلّا من الرّجال الكاملين وأصحاب النّفوس الكبيرة والهمم العالية، الّذين يريدون أن يصعدوا في سُلَّم الحياة بخطوات كبيرة، وأن يسبقوا الأمم الـمعاصرة في مدنيّاتها وعرفانها.

فهؤلاء هم الأشخاص الّذين ينتظرهم تاريخ بلادنا ليمثّلوا دورا كبيرا في وسط هذا القطر، ويخلّدوا تراثًا عظيمًا لا يصيبه الزّوال والفناء. فما علينا إلّا أن نسير في طريق هذه الـحياة الّتي تكسبنا الشّرف وتزيل عنّا أسباب هذا الانحطاط والـخمول.